الجُدَري

أشيَع الأوبئة ؛ أقتَلها ؛ أسهلها اتقاء

لذلك رغب « المشرق » الى حضرة الحكيم ابن الجميّل
في نشر هذا المقال ، إبّان واقدته الحاليّة

كان الجدري ، قبل ان عُرف التطعيم اي الى قرنٍ سبق ، إذا غشا بلـدًا او دخل أسرة ، فتكَ بربع اهلها ، ما عدا من يشوّهه او يعميه كأبي العـلاء المعرّي

عرفنا عيلةً ممّن يستسلمون للقضاء والقدَر وصـل اليها الجدري فـا مضت اسابيع قليلة حتى ذهب بثلاثة ارباعها : ومن ١٢ نسـمة لم يبقَ الا ثلاث . ان هذه الآفة قضَت على سلالة لويس الرابع عشر ملك فرنسة العظيم ؛ ولم يسلم الّا ولد حفيدهِ اي خلَفه لويس الخامس عشر ، الذي مات بالجدري في شيخوختهِ ، على إصابتهِ به صغيرًا

الجدري داءٌ أهمُّ تظاهراتهِ حُمّى شديدة يصحبها ألمٌ في الرأس وخاصـةً في الظَّهر ، فطَفحٌ يبرز بين اليوم الثاني الى الرابع ، بين الشدّة والخفّة ، لا يلبث ان يتحوّل الى بُزور فبثور فقشور فيها جراثيم العدوى ، بل هي العامل على نشرها

منذ القِدَم يفتك الجدري بالانسانيّة . واماي نصٌّ خطيرٌ استوقف كثيرًا نظري في اثناء درسي في الحقبة الاخيرة : « الطبّ في الكتاب المقدّس » : جاء في سفر الخروج ، الفصل التاسع ، العدد العاشر : « فأخذ موسى وهـارون من رَماد الأتون ، ووقفـا بين يدَي فرعون ؛ وذرّاهُ موسى الى السماء ؛ فصـار قروحاً وبُثورًا مُتفجّعةً في الناس والبهائم »

لا جرم انه كلامٌ ينطبق الانطبـاق كلّهُ على هذا الـداء وعلى أخيه في البهائم المسمّى : جدري المواشي (La clavelée)

وللرازي ، حكيمنا العظيم ، السَّبق ايضاً في معرفة الجدري وتعريفهِ (انظر رسالته التي نشرها المرحوم كرنيليوس ڤانديك)

* * *

في داء الجدري اسهل الاوبئة اتقاء واوكدها عصمة لمن يتطعم

كان هذا الداء ، الى القرن الماضي ، أذيع من الطاعون ولم يكن أقلّ منه ولا من الكوليرا (١ فتكاً ، إذ ان نسبة الوفيات فيه تراوح بين ٥٠ و ٧٥ في الـ ١٠٠ وله بزيادة التشويه والعمى كما قدّمنا

اذلك كان كشف واسطةٍ اكيدةٍ بسيطةٍ تقي من هذا الداء ، (الـذي لم يزل الى الساعة بدون دواء) من أفيد مـا كشف الانسان

من مدّة قرون تَوفّق الشرق الى المناعة على هذه الوافدة بما سُمّي بصوابِ « المطعوم البلدي» وهو الى الآن معروف في الشام ، معمولٌ بهِ ببعض انحاء لبنان

كثيرًا ما كان بعض أهل بلادنا يأخذون شيئاً من صديد مُصابٍ بالجدري إصابةً خفيفةً ويخدشون بعض خدوش طفيفة على اليد او في اي قسم آخر من جسم رجلٍ سليمٍ يُراد تطعيمه ، فتظهر على المطعَّم اعراضُ جدري خفيفٍ تصونه في المستقبل صيانةً مطلقةً من هذهِ البَلِيَّة لمدّة لا تنقص عن ١٥ سنةً

غير ان لهذه الوسيلة عَيبَين كبيرين قُلْ هائلين: احدهما ان المُلقَّح قد يصاب بجدري شديدٍ (بِكْر) يؤول الى الموت ؛ والآخر انهُ يُصبح أداة عدوى تُذيع المرض في محيطه

ومع ذلك — ولما كان المرء بين شرّين يختار اصغرهما — اشتهرت هـذه الطريقة وامتدّت الى استانة ؛ وهناك تلقّتها قرينة سفير انكلترة السيدة مونتاغ عام ١٧٢١ وأجرتها على ولدها ونقلتها الى انكلترة ؛ فـامتدّت الى سائر اوربة واميركة ، التي لم تعرف هذا الداء الّا بعد عهد خريستوف كولمبوس

وقد تمّ التوفيق للانسانيـة على يد الحكيم جنّر (Jenner) الخالد الفضل والاسم فعُدَّ من اكبر المحسنين اليها ، لان طريقته لا محذور لهـا ولا عدوى منها ولا خطر ولا عطب . وهاك بيانها :

كان جنّر طبيباً في بلدتهِ بركلـه (Berkley) (من بريطانية العظمى) ؛ وسمع هناك على لسان بعض العامّة ان المُعتنين بالأبقار لا يصـابون بالجدري

١) ولم يُعرَف الوباء الاصفر في بلادنا قبل مئة سنة

بثّة. وبالتقصي أدرك ان البقر قد تُصاب على أثدائها ببثور تشبه حُبيبات الجدري. فاذا عَلِقَ شيء من صديد البثور باصابع بقّار، حين الحلب مثلاً، وظهرت بثورٌ على الاصبع، فتلك البثور تقي، فيما بعد من الجدري الانساني، ذاك الذي أُصيب بها. ثم أخذ نابغتنا بالاختبار، ورأى بالامكان نقل البثور بالتلقيح من البهائم الى الانسان، ومن الانسان الى الانسان على شكل ما كان يصنع للتطعيم الذي سمّيناهُ البلَدي اي التجدير (variolisation)

وفي اليوم التاريخيّ الخالد، وهو ١٤ ايار عام ١٧٩٦ أخذ، جنر شيئاً من بثور كانت على يد خادمة تحلب البقر اسمها سارة نلمس (Sarah Nelmes) ولقّح بها ذراع فتى بعمر ثماني سنين يُدعى جمس فيبس (James Phips). ثم بعد ايام لقحهُ بمدّة (قيح) الجدري الحقيقي فلم يُصب الغلام. وبعد تكرار هذا الامتحان على الصغار ثبتت فائدة الاكتشاف فملأ الدنيا انتشارًا فوقايةً (١

* * *

كيف يجري التطعيم ؟

يجب تطعيم كل رضيع متى بلغ الشهرين الى الثلاثة، وإعادة التطعيم كل خمس سنين للصغار وكل سبع سنين للكبار، فتكون الضمانة مطلقة اكيدة

ولن ترى أصلاً مَن سار على هذه الطريقة يُصاب بالجدري ولو كانت مهنته أبدًا الطبابة او خدمة المجدورين، ولو لم يحتَطْ بسوى هذه الواسطة. وقد علمتَ ان التلقيح بصديد الجدري عينه لا يأخذ في المطعَّمين ولا يؤثر فيهم ابدًا

ولذلك ينبغي للحكومات والادارات ان تجعله إجباريًا

متى أُريد التطعيم يؤخذ انبوبٌ من مادّة الصديد الخاصّة المُستنبتة على البقر في دُور طبيّة أُقيمت لذلك. ويُفرَغ الانبوب على صفيحةٍ صغيرة طُهّرت بالإغلاء او بالاحراق بالكحول، ثم بُرِّدَتْ كي لا تُميت الحرارة اللقاحَ، وهو مادّة حيّة بروتومية

تُبضَع الذراع اليسرى او الفخذ بَضْعاً خفيفاً سطحيًا بحيث يظهر الدم ولا

١) (عن كتاب « قانون الصحة » صفحة ٢٦)

يسيل . ونحن نعمل ثلاثة خطوط متوازية بطول نحو سنتمتر ويُفصَل بين الخطّ والآخر بقَدْر سنتمترين (انظر الرسم) ، عن نشرتنا « في غياب الطبيب »

لا بدّ من تطهير ريشة التطعيم المعدنية بالإغلاء ، او بلهب الكحول

يُستحبُّ غسلُ الذراع قبل ذلك او مَسحهُ بالكحول . وبعد ان تستطير الكحول يوضع في كل جرح مقدار قمحة صغيرة من مادّة اللقاح

لا بدَّ من ١٠ دقائق انتظار قبل تنزيل الملابس اي الى ان يجفّ اللقاح ويلتصق بالجرح

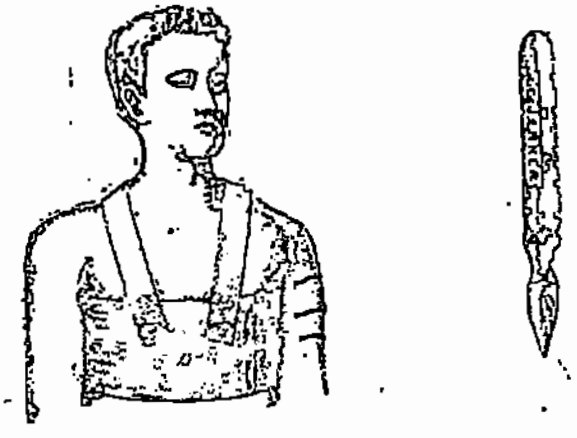

لتتأكد لك جودةُ الطعوم وجدّتهُ انظر الى الرضّع ، اي من لُقّحوا لاول مرّة فانك ، بعد اسبوع مثلًا ، ترى بثور اللقاح جليّة على الخدوش مع سائر الأعراض الموضعيّة كالاحمرار والورَم ، والتظاهرات العامّة كبعض الحرارة . اما الذين يجدّدون التطعيم فقد لا يأخذ او إنه يأخذ قليلًا . فذلك دليل على ان القديم لم يزل واقياً تافهاً

قد أسهبنا في هذا الموضوع لشأنه الكبير في وقاية الوطن من الجدري . ونحن نودّ ان يكون هذا البيان دافعاً لجميع الاطباء والدايات والمعلّمين بل الائمة والكهنة ، حتى في آخر مزرعة ، لتعميم هذهِ الخدمة الانسانية السامية في كل مكان

وبشِّر بعد ذلك من خدمتهُ هذه الخدمة بالمناعة التامّة على شرّ آفة !